**المقال السادس**

**البابا شنودة الثالث**

**(1971-2012م)**

هو البابا السابع عشر بعد المائة (117) من باباوات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية- وهو شخصية مميزة، ويعتبر من أعظم الشخصيات الدينية في القرن العشرين. وله الكثير من المؤلفات نثراً وشعراً، وبعتبر من الوعاظ المتميزين على مستوى العالم. وقد درس في الكلية الإكلريكية، وأصبح أستاذاً فيها.

ومنذ أن جلس على كرسي مارمرقس في 14 نوفمبر 1971م، يحرص على لقاء الشعب القبطي في اجتماع إسبوعي الكاتدرائية، كما يقوم بالتدريس لطلبة الكلية الإكليركية. أيضاً، في عهده تم بناء العديد من الكنائس في بلاد المهجر لرعاية المسيحيين الذين هاجروا إلى هناك.

وكان يهتم بشئون الوطن ولاسيما شئون الأقباط بصفته الأب الروحي لهم. وهو القائل إن مصر ليست وطناً نعيش فيه، بل هي وطن يعيش فينا.

وقد كان حكيماً في علاقته بالدولة وسط أزمات كثيرة كان تحيط بالأقباط. وكانت له بعض المواقف الحازمة في بعض ما تعرض له الأقباط من إضطهاد – وهو ما جعل الرئيس السادات يتخذ منه موقفاً مضاداً عدة مرات، إلى أن جاء سبتمبر 1981م، وقد حمل قرار رئيس الجمهورية بإلغاء التصديق على تعينه بطريركياً.

**البابا شنودة والرئيس السادات**

بعد موت الرئيس جمال عبد الناصر، تقلد رئاسة الجمهورية الرئيس محمد أنور السادات- الذي كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين قبل ثورة 1952م. ولا ننسى تصريحه سنة 1956م أثناء توليه مسئولية السكرتير العام للمجلس الإسلامي بأنه لو سمحت له الظروف وتولى السلطة، ففي خلال عشر سنوات سوف يحول الأقباط إلى الإسلام أو ماسحي أحذية وشحاتين (هذا على عهدة الأستاذ مجدي خليل).

وهو صاحب فكرة إضافة (ال) إلى المادة الثانية من الدستور، لتصبح الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، المادة التي استغلها الإسلاميين أسوأ إستغلال. أيضاً، لا ننسى شكاوى الأقباط، حينما بدأ الإعداد لعمل دستور دائم للبلاد في سنة 1971م، فقد كان هناك تيار جارف يدعو لأن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع أي تحويل مصر إلى دولة دينية- وهذا يؤذي الجميع ولا سيما الأقباط، حيث يحولهم إلى مواطنين من الدرجة الثانية أكثر سوءاً مما هم عليه آنذاك.

**فكرة عزل البابا شنودة!!**

طائفية الرئيس السادات- الذي قال عن نفسه مرة إنه الرئيس المؤمن- وتشجيعه للجماعات الإسلامية، بدعوى محاربة اليساريين، جعلت الجو متوتراً طوال سنوات حكمه في السبعينات... والتوتر الذي نقصده هو الذي كان بين الدولة والكنيسة وعلى رأسها البابا شنودة الثالث. وقد فكر السادات في فكرة عزل البابا شنودة الثالث ثلاث مرات:

* **المرة الأولى** كانت بعد أحداث الخانكة سنة 1972 حدث ذلك في 6نوفمبر 1972م، حيث قامت جماعة من الغوغاء (المسلمين) بحرق جمعية الكتاب المقدس بالخانكة، بسبب إقامة الصلوات فيها، مما يتسبب في إيذاء مشاعر المسلمين!! لاسيما وأن المكان ليس مرخصاً لإقامة الصلوات فيهَ!! وتبع ذلك حرق لبعض منازل المسيحيين في المنطقة وقد قام بالتحريض في ذلك الوقت، إمام مسجد السلطان الأشرف بالمنطفة.

وكان رد فعل المسيحيين في 12 نوفمبر، أن توجه إلى مدينة الخانكة حوالي 400 شخص في أتوبيسات وسيارات أجرة إلى المكان المحترق لإقامة الصلوات فيه. وكان 100 شخص من هؤلاء يلبسون الملابس الخاصة بالقسوس والشمامسة.

وغضب الرئيس السادات، لأنه فهم أن البابا يقف وراء هذه (المظاهرة)، وفكر أن يذهب إلى البرلمان، كي يطلب عزل البابا. ولكن يبدو أن حكمة الأستاذ محمد حسنين هيكل، قد أوقفت هذا الإجراء في ذلك الوقت.

* **والمرة الثانية** كانت في سنة 1977م، عند مناقشة مشروع قانون الردة، والذي كان موجهاً في الأساس ضد الأقباط. وقامت مجلة "الكرازة" الناطقة باسم الكنيسة القبطية، في أعداد متتالية، بمناقشة المذكرة المرفوعة من المجمع المقدس إلى رئاسة الجمهورية، والخاصة بقانون الردة- مبينة مساوئ هذا القانون وتأثيرة السلبي على الأقباط في الداخل والخارج، وكذلك كونه ضد حقوق الإنسان.

قال البابا شنودة إن هذا القانون يشكل خطراً على الأقباط، وقال :"لماذا تتسرع الدولة بإصدار قانون للردة بينما لا توجد "ردة" تهدد الإسلام في مصر". وقد أوضح البابا شنودة في مذكرته التي أرسلها إلى رئاسة الجمهورية أن هذا القانون موجه ضد المسيحية... وأن هناك أربعة حالات ينبغي دراستها والرد عليها وهي:

1. مسيحي أسلم بسبب ضغوط أو إغراءات، ثم ندم ورجع إلى مسيحيته، هل يعتبر مرتداً عن الإسلام ويحكم عليه بالقتل لأنه أطاع ضميره ورجع إلى دينه؟ وإذا بقى في الإسلام هل يكون صادقاً في إسلامه بينما يريد أن يتركه؟ وهل الإسلام يريد عدداً أم إيماناً؟
2. مسيحي إعتنق الإسلام وله أولاد قصّر، قد تربوا تربية مسيحية، ولكنهم يعتبرون مسلمين بالتبعية لا بالإيمان لأنهم لم يبلغوا سن الرشد بعد، هل لو ثبت هؤلاء على مسيحيتهم يعتبرون مرتدين عن الإسلام ويقتلون... هل يعتبر هذا عدلاً؟
3. مسيحي شهد عليه شاهدان أو أكثر، وما أسهل سوء إستغلال هذه الشهادات إلى أبعد الحدود. هل إذا صّرح بمسيحيته وأنكر هذه الشهادة يعتبر مرتداً ويقتل؟ كما حدث لشخص بعد موته أعلنوا أنه أسلم قبل موته لكي يتم الإستيلاء على ميراثه (كما حدث في قضية مشهورة بالإسكندرية).
4. مشروع قانون يحكم بالقتل أو بالسجن على (جريمة) التحريض على الردة. بالطبع إذا اعتنق مسيحي الإسلام، فسوف يقوم كثيرون بنصحه للرجوع إلى دينه- ومن هؤلاء أبواه وأقاربه والكهنة... هل يعتبر هؤلاء محرضين ويقتلون أو يسجنون؟

كما أوضح البابا شنودة أن هذا القانون:

* ضد الإسلام لأن الإسلام يقول "لا إكراه في الدين".
* ضد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.
* ضد الدستور الذي ينص على حرية العقيدة وأن المواطنون أمام القانون سواء.
* ضد المساواة، فالمرتد عن الإسلام يقُتل، بينما تقدم كل التسهيلات لمن يرتد من المسيحية إلى الإسلام.

وقد كتب بعض كبار الكتّاب المسلمين يستنكرون مشروع هذا القانون مثل مصطفى أمين ومحمد زكي عبد القادر والغزالي حرب... الخ.

في ذلك الوقت، أعلنت الكنيسة عن الصوم الانقطاعي لمدة أسبوع لكي يبطل الله قوانين الردة... كما اهتمت وكالات الأنباء بنشر أخبار ومقالات بصدد هذا الموضوع، ورأى السادات أن البابا يتحداه، فأتصل بالأستاذ موسى صبري وأبلغه قائلاً:" إذا لم يعدل البابا شنودة عن مثل هذه التصرفات، فإنني سأصدر قراراً من سطرين بإلغاء القرار الجمهوري بتعيينه".

* **أما المرة الثالثة** التي فكر فيها الرئيس السادات في عزل البابا، فقد كانت في سنة 1980م. وكان البابا قد أعلن عن عدم إستقبال الوفود الرسمية وتقبل التهنئة بعيد القيامة في 26 مارس سنة 1980م.

كان هذا بمثابة مواجهة علنية بين القيادة السياسية للدولة وقيادة الكنيسة، وهذا دفع السادات في إتهام البابا بثلاثة تهم وذلك في خطاب ألقاه في ذكرى 15 مايو سنة 1980م أمام مجلس الشعب. قال إن لديه معلومات عن المطامع السياسية للبابا شنودة وهي:

1. يريد البابا أن يكون زعيماً سياسياً للأقباط في مصر، غير مكتفياً برئاسته الدينية.
2. أن البابا يعمل على قيام دولة للأقباط في الصعيد، تكون عاصمتها أسيوط!!
3. أن الفلسطينيون في لبنان قد أسروا ثلاثة من الأقباط يحاربون مع الموازنة ضد التحرير الفلسطينية.

**عزل البابا!**

في يونيو 1981م، حدثت أحداث الزاوية الحمراء... حرق ونهب وقتل موجه ضد المسيحيين وممتلكاتهم، ولم تقم الدولة بواجبها، بل حاول المسئولون التقليل من الأحداث. كان هذا بسبب تشجيع القيادة السياسية للحركات الدينية الإسلامية. وفي أغسطس 1981م، ذهب السادات في زيارة رسمية للولايات المتحدة الأمريكية. وحاول البابا تهدئة مسيحي الخارج، بأن أرسل لهم رسالة يحملها الأنبا صموئيل أسقف الخدمات ومعه مطران الغربية، حثاً لهم على الترحيب بالرئيس، إلا أن الجمعيات القبطية هناك نشرت إعلاناً بمساحة نصف صفحة في جريدة "الواشنطن بوست" و "النيويورك تايمز" تعبر فيه عن المضايقات التي يلقاها أقباط مصر. كما قرروا القيام بمظاهرات ضده في واشنطن. هذا، وأثناء زيارة الرئيس، حدثت أحداث كنيسة مسرة التي قُتل فيها ثلاثة أشخاص وإصابة 59 في انفجار قنبلة بالكنيسة.

ورجع الرئيس إلى مصر... وقبضت أجهزة الأمن في 4 سبتمبر 1981 على 1536 شخص من تيارات ومذاهب عديدة، منهم رجال دين من الجانب الإسلامي والمسيحي. وفي اليوم التالي أصدر الرئيس 12 قراراً، منهم القرار الخاص بإلغاء قرار رئيس الجمهورية بتعيين الأنبا شنودة في منصب البابا وتشكيل لجنة من خمسة للقيام بالمهام البابوية.

وكان السادات قد اتهم البابا في خطابه أمام مجلس الشعب في نفس اليوم قبل أن يصدر قراراته الإثنا عشر بأربعة إتهامات هي:

* تعريض الوحدة الوطنية والسلام الإجتماعي للخطر.
* الحض على كراهية النظام.
* إضفاء الصفة السياسية على منصب البطريرك واستغلال الدين لتحقيق أهداف سياسية
* الإثارة.

وتوالت الأحداث وتطورت... حتى جاء يوم 6أكتوبر 1981م، يحمل نبأ إغتيال بعض أعضاء الجماعة الإسلامية لرئيس البلاد.

**البابا شنودة والرئيس مبارك**

بعد إغتيال السادات في 6اكتوبر 1981م، تقلد نائبه؛ محمد حسني مبارك رئاسة الجمهورية. وبادر بالإفراج عن معتقلي سبتمير 1981م، إلا أن الإفراج عن البابا شنودة لم يتم ، ربما لأسباب أمنية – فقد كانت البلاد تعاني في ذلك الوقت من فتنة طائفية. ويبدو أن البابا كان متفهماً لخطورة المرحلة التي يمر بها الوطن.

وفي أول زيارة للرئيس الجديد (مبارك) إلى الولايات المتحدة الأمريكية، جاءت أنباء تفيد أن بعض الأقباط هناك يعتزمون التظاهر ضد الرئيس مطالبين بإطلاق سراح البابا، فذهب الأنبا أغريغوريوس والأنبا موسى إلى الولايات المتحدة لتهدئة هؤلاء الغاضبين، ومعهما رسالة من البابا، جاء فيها:

".... والرئيس مبارك قد تولى الحكم في ظروف صعبة جداً ومعقدة للغاية، يلزم مصر لحلها فترة كافية من الوقت. ونحن نصلي لأجله باستمرار، من عمق قلوبنا، حتى يؤيده الله بقوة من عنده، يستطيع بها أن يقود البلاد إلى السلام، والاستقرار، وتحقيق أمانيها الوطنية...". وهذا الجزء من الخطاب، يُظهر تفهم البابا للوضع الحرج الذي تمر به البلاد، ويتفهم أن أمر رجوعة إلى الكرسي الباباوي يحتاج إلى بعض الوقت. وبلغ هذا الوقت، الذي استمر احتجازه فيه حوالي أربع سنوات!

في تلك الفترة- الرئاسة الأولى للرئيس- حاول النظام عدم الاصطدام مع التيار الإسلامي،بل حاول التهدئة بأن أفرج عن بعض المتهمين من التنظيمات الجهادية (الإرهابية) مثل أعضاء في تنظيم الجهاد، والتكفير والهجرة، والقطبين، وحزب الله... الخ.

كما فرق النظام بين الإخوان المسلمين والجماعات الدينية الأخرى، وذلك على أساس قبول الشرعية القائمة وعدم تبني العنف لتحقيق الأهداف. وقد استقبل الأقباط هذا التوجه السياسي نحو الإسلام السياسي على مضض، ولا سيما أن الرئيس الديني للأقباط مازال تحت التحفظ.

وبدأ بعض الإعلاميين، وأغلبهم من المسلمين يطالبون بعودة البابا شنودة. كتب مصطفى أمين في عموده اليومي "فكرة" يقول:" إن مسألة الأنبا شنودة لا تهم الأقباط وحدهم، وإنما تهم المسلمين بنفس القدر. فهي مسألة حرية مواطن يجب أن نقف بجواره حتى وإن لم يكن يتولى هذا المنصب الكبير...". كما كان للكاتب الصحفي مكرم محمد أحمد، موقفاً واضحاً وعظيماً من قضية احتجاز البابا وعدم عودته، بل كان يحاول تهدئة الأجواء قبل قرار السادات بإحتجاز البابا في الدير ومحاصرته.

وأخيراً، صدر قرار رئيس الجمهورية (مبارك) سنة 1985م بعودة البابا لممارسة مهامه... وهذا نص القرار:

رئيس الجمهورية

بعد الإطلاع على الدستور

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم 2782 لسنة 1982 بتعيين بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم 491 لسنة 1981م بإلغاء قرار رئيس الجمهورية السابق ذكره.

وبناء على عرضه علينا وزير الداخلية

قرار:

مادة (1): يعاد تعيين الأنبا شنودة بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مادة(2): على وزير الداخلية تنفيذ هذا القرار

صدر من رئاسة الجمهورية في 11 ربيع الثاني 1405- 3 يناير 1985.

حسني مبارك

**فترة الرئاسة الأولى للرئيس**

أثناء حكم مبارك في فترته الأولى (حتى سنة 1985م) كانت الأمور تتسم بالهدوء والحذر وانتظار تقديم الحلول للمشاكل التي تواجه البلاد، سواء أكانت إجتماعية (اشتداد التضخم وغلاء المعيشة) أو سياسية (التمثيل الأصدق للقوى والتيارات في المجتمع) أو حضارية (المواجهة بين التيار الديني والتيار العلماني) أو إقتصادية ( الانفتاح وخدمة الديون وتناقص الموارد من العملة الصعبة). ولكن للأسف لم تقدم الدولة حلولاً، فعاد العنف من جديد؛ عنف ضد الأقباط وعنف ضد رموز الدولة وعنف ضد الشرطة.

**بداية الفترة الرئاسية الثانية وما بعدها.**

بدأ المتطرفون يوجهون عنفهم إلى بعض رموز الدولة مثل مقتل رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب سنة 1990م، كما كانت هناك محاولات إغتيال وزراء داخلية سابقين (حسن أبو باشا سنة 1987، زكي بدر سنة 1989، حسن الألفي سنة 1993). كما استهدف المتطرفون بعض الكتّاب مثل محاولة اغتيال مكرم محمد أحمد وفرج فودة الذي تم اغتياله سنة 1992. وقد بلغت نسبة العنف الطائفي ضد الأقباط 30%، وضد الشرطة 40%، والباقي ضد السياح والمدنيين.

**مطالب الأقباط**

كثيرة هي مطالب الأقباط في مصر، وللأسف لا تتحرك الدولة ولا تهتم بهذا الأمر. الأقباط يطالبون بالمساواة وأن يكون المبدأ السائد في الدولة وأجهزتها هو مبدأ المواطنة، فلا يجب أن يميز مصري عن مصري آخر بسبب ديانته. مطالب كثيرة منها: التعيين في وظائف الدولة العليا مثل المسلمين، وحرية العقيدة (والتي تصر الدولة والمجتمع أن تكون في اتجاه واحد)، وعدم وضع عراقيل (وهي كثيرة) في موضوع بناء الكنائس، والعناية بالمناهج التعليمية وحيادتها، وكذلك الإعلام للجميع وليس لمصلحة الأغلبية على حساب الأقلية.... الخ.

إن غياب العدالة في أي مجتمع يؤدي إلى عدم تقدم هذا المجتمع بالإضافة إلى مشاكل عديدة بين أطيافه مثل مشكلة الفتنة الطائفية (التي سبق تناولها)

**البابا شنودة الثالث رجل عالمي**

بسبب وطنيته وانجازاته وخطابه المعتدل وحبه للسلام، حصل على الكثير من شهادات الدكتوراة الفخرية والجوائز عالمياً ومحلياً. وقد أورد كاتب كتاب "وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر (4)" في الصفحات من 54 إلى 64 موجز عن تقدير العالم له، نوجزه في السطور التالية:

1. سبعة شهادات دكتوراة فخرية من الجامعات الأمريكية والألمانية، على مدى السنوات من 1997م إلى 2002م.
2. جائزة أفضل واعظ ومعلم للدين المسيحي لسنة 1987م من مؤسسة بروننج الأمريكية.
3. جائزة "مادنزيت سينج للتسامح" من اليونسكو سنة 2000م.
4. جائزة القذافي الخاصة بحقوق الإنسان سنة 2003م.
5. إحدى عشر شهادة وخطاب تقدير من جهات مختلفة مثل فلسطين وجامعة عين شمس ووزارة الصحة وجامعة القاهرة ونقابة المحامين...الخ.

**المراجع:**

1. الملل والنحل والإعراق- مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية- شركة الطباعة العربية الحديثة.
2. الأقباط ( النشأة والصراع) لملاك لوقا- مطبعة أنجيليوس.
3. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر، للراهب القمص أنطونيوس الأنطوني(الجزء الثالث)- مكتبة المحبة.
4. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر، للراهب القمص أنطونيوس الأنطوني(الجزء الرابع)- مكتبة المحبة.